|  |  |
| --- | --- |
|  | ســورة القيامــة  دراسة في جماليات الاسلوب والتلقي  أ م د . حسين مزهر حمادي  جامعة البصرة  كلية التربية للعلوم الانسانية  قسم اللغة العربية  ***المقدمة*** |

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الكائنات وسادة الموجودات محمد وأهل بيته الطاهرين ، وبعد:

فإنه مما لاشك فيه ان النص القرآني إنموذج بنيوي ذو نسق جمالي بلغ بالإبداع غايته فاعجز العقول وأبهرها وحفّزها على استكناه مكامن ذلك الإبداع وكشف اسرار جماليات اسلوبه ومنظومة الاداء اللغوي الذي تشكلت منها بناه النصية , وبقدر استجابة المتلقي ودرجة وعيه وتفاعله وأنسه يكون الانفتاح على عالم ذلك النص المقدّس ويكون الفهم والتواصل . فمتلقي النص القرآني يكون امام بنية نصية ذات حركة دينامية قابلة للتمدد والاتساع الدلالي والجمالي بما يستوعب كل مفاهيم الدلالة والجمال ، وهي في الوقت نفسه قابلة للتقلّص والانغلاق لدرجة يعسر حل رموزها وفهم ابسط مدلولاتها تبعاً لتضاؤل وعي متلقيها. وهذا الامر يعطي للمتلقي دوراً كبيراً في عملية انتاج الدلالة واستكناه مكامن الابداع والجمال في النص القرآني . ومن هنا جاءت الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة لتحث على التواصل والتفاعل مع النص القرآني والاتصال به ليل نهار ، بل ورفع مستوى الثقافة والوعي في التعامل معه . فهو مصداق الكلمة المأثورة عن العلم ( اذا أعطيته كلّك أعطاك بعضه ) , وهذه أهم مزاياه التي فاق بها غيره من النصوص ، وهي سرّ خلوده وإعجازه ، إذ ان مستويات التلقي تتعدد فيه تبعاً لتعدد مستويات الفهم ، مايجعل فضاءات النص أو آفاق الدلالة وجماليات الاسلوب غير محددة ، وقابلة للاتساع والتأويل والتجدد والتوالد مع كل عملية اتصال جديدة ، ومن هنا نفهم مقولة أمير المؤمنين علي (عليه السلام ) في وصف القرآن الكريم ( إن القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق , لاتفنى عجائبه ولاتنقضي غرائبه ولاتكشف الظلمات إلاّ به ) .(بحار الانوار 2/ 284 )

البحث المتواضع محاولة لتسليط الضوء على مكامن الابداع الجمالي في النص القرآني عن طريق تطبيق بعض إجراءات المنهج الاسلوبي وتقنيات التلقي , وقد وقع الاختيار على سورة (القيامة ) لما تضمنته السورة المباركة من ظواهر اسلوبية وقيم جمالية وصور ومشاهد حركية كان لها الأثر الكبير في عملية التلقي وإنتاج الدلالة .

وقد سارت خطى البحث على وفق منهجية بُنيت على مبحثين اثنين تتقدهما مقدمة وتلحقهما خاتمة النتائج . حمل المبحث الاول عنوان ( عمارة السورة ) , وأدرجت تحته المسائل الآتية:

1. البناء الهندسي : وعني بإبراز الهيكل العام أو الشكل الخارجي الذي تشيدت منه السورة المباركة ومفاصل ذلك البناء .
2. البناء اللغوي : وتكفل بدراسة البنى الداخلية للنص وعناصر التركيب وما طرأ عليها من تغيرات وتمخض عنها من دلالات .
3. المعنى المركزي وطرق الدلالة عليه : وعني باكتشاف البنية المركزية للنص او المحور الاساس الذي دارت حوله كل مفاصل السورة وأحداثها عموما , او بمعنى آخر القاعدة التي انبثقت منها تمظهرات البنيتين اللغوية والهندسية .

وحمل المبحث الثاني عنوان ( تقنيات التلقي وعوامل الاثارة ) , وأُدرجت تحته المسائل الآتية:

1) الاستهلال والاستباق والاسترجاع , وهي من تقنيات التلقي .

2) الثنائيات الضدية : وهي احدى عوامل الاثارة , ونعني بها الأضداد التي انتشرت في آيات السورة المباركة وكيف وُظّفت لإثارة المتلقي .

3) المشهد : ونعني به السرد الدرامي الذي عُرضت به الأحداث , ودوره في عملية التلقي والإثارة .

4) التكرار , ودوره في تشكيل البنية اللغوية للنص , فضلاً عن آثاره الدلالية والجمالية .

5) الإيقاع : وهو أحد أهم التقنيات التي وُظّفت في النص لخلق الإثارة لدى المتلقي وتحفيزه نحو الاستجابة .

وفي الخاتمة عرضنا أهم النتائج التي تمخضت عن تلك الدراسة .

نرجوا الله تعالى توفيق العمل وقبوله , ونستغفره من كل زلل ونستعيذه من كل خطل ،انه نعم المولى ونعم النصير وهو أرحم الراحمين , والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

|  |  |
| --- | --- |
| 1 | ***المبحث الأول : عمارة ا لسورة او البنية المعمارية*** |

***\* البناء الهندسي***

تتكون السورة المباركة من بنية رئيسة كبرى تتمفصل عنها وتنبثق منها عدّة بنى فرعية صغرى يفضي بعضها الى بعض ويحكمها ترابط سببي وتناسق دلالي متصلة فيما بينها بالغرض التـــي تعـــود لتصبّ فيـــه مــــــــــرة اخرى حينما تتصل بالبنية الكبرى . ومع هذا التلاحـم والتواشيـح بيـن تلك البنـــى الفرعيــة ،الاّ ان لكل منها جانباً مستقلاً وخصوصية تميزها نوعاً ما عن البنية الاخرى ولكنها تشترك جميعاً في رسم الاطار العام الذي تحكمه البنية الاساس . فهيكل السورة البنائي اذن تحكمه بنية كبرى تحدّ بدايته ونهايته ويتخللها في الوسط بنى فرعية صغرى محكومة بدءاً وانتهاءاً ، فصار البناء كلاّ عضوياً مترابطاً فيما بينه ، متصلاً أولُه بآخره وبدايته بنهايته ، اذ يبدأ بحقيقة كلية ثم يفصّل فيها وبجزؤها ليدلّل على كــل جزئيــــة منهـــا داخـــــل النسق العــــام الذي يحكمها ، ثم يعود ليجمعها مرة اخرى وليثبتها كلاَ كاملاً ، اي ان حركة البناء تأخذ طابعاً طولياً تارة ، وعمودياً تارة اخرى ، لتغطي كل المساحات وتسدّ كل الثغرات .

ويمكن ان نقسم بناء السورة الى مقاطع مثّل كل مقطع مرحلة من مراحل البناء السردي للحدث ، يحكم تلك المقاطع ترابط سببي وتسلسل تزامني تبدو معه المقاطع كأنها سلاسل متصل اولها بآخرها ، وتضمها علائق سياقية وايحاءات دلالية تجمعها معاً في تآلف لا نفور فيه . ثمة مقطع واحد يبدو للوهلة الأولى وللقراءة غير الواعية انه غريب عن جو السورة ولايتناسب مع المقاطع الاخرى وهو قوله تعالى : (( لاتحرك به لسانك لتعجل به . ان علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتّبع قرآنه ، ثم إن علينا بيانه)) . ولكنّ المتأمل في دلالات النص وإيحاءاته التعبيرية يلمس خيوط الاتصال وعلائق الارتباط بين هذا المقطع وبقية مقاطع السورة وسنستوضح بعضاً منها ، ولكن قبل ذلك نستعرض آراء المفسرين حول هذه الآية المباركة ، وقد أجملناها بثلاثة آراء :-

|  |  |
| --- | --- |
| 2 | ***المبحث الأول : عمارة ا لسورة او البنية المعمارية*** |

الأول:- وعليه معظم المفسرين ان الآية المباركة خطاب لرسول (صلى الله عليه واله وسلم) (1).

يقول الزمخشري وهو يفسر لنا سبب نزول تلك الآيات - التي حوّلت سياق الاحداث من مسارها الآخروي الى المسار الدنيوي وتحول الخطاب نحو رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ليصبح محور الحدث في ذلك المقطع - ان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) **((** اذا لُقّنَ الوحي نازع جبريل القراءة ولم يصبر الى ان يُتّمها مسارعة في الحفظ وخوفاً من ان يتفلّت منه فأُمر بأن يستنصت اليه ملقياً بقلبه وسمعه حتى يقضى اليه وحيه ))(2) .

الثاني:- وذكره الطوسي عن البلخي وهو أنه خطاب للعبد الآبق العاصي تقريعاً له وتوبيخاً ، وليس للرسول (صلى الله عليه واله وسلم) (3) .

وقد نقل الآلوسي عن القفال قوله : **((** قوله تعالى لاتحرك.. الخ خطاب للانسان المذكور في قوله ((ينبؤا الانسان)) (القيامة /13) وذلك حال انبائه بقبائح افعاله يعرض عليه كتابه فيقال له ((اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا)) (الاسراء /14) فإذا أخذ بالقراءة تلجلج لسانه من شدّة الخوف وسرعة القراءة فقيل له لاتحرك به لسانك لتعجل به فإنه يجب علينا بحكم الوعد أو بحكم الحكمة ان نجمع اعمالك وان نقرأها عليك فإذا قرأناه عليك فاتبع قراءته بالاقرار بأنك فعلت تلك الافعال أو التأمل فيه ثم ان علينا بيانه اي بيان امره وشرح عقوبته **))**(4) .

الثالث:- ماذكره الآلوسي ، وهو ان الخطاب للرسول (صلى الله عليه واله وسلم) ولكن المضمون يختلف ، فالنهي عن تحريك اللسان بالعجلة ليس المراد منه الوحي ، بل المراد منه ألاّ تعجل بالسؤال عن يوم القيامة وموعده (5) .

|  |  |
| --- | --- |
| 3 | ***المبحث الأول : عمارة ا لسورة او البنية المعمارية*** |

أما أوجه الترابط بين هذا المقطع وما سبقه فهي:-

اولاً:- مانقله الآلوسي عن ابي حيان قوله : **((** يظهر ان المناسبة بين هذه الآية وما قبلها انه سبحانه لما ذكر منكر القيامة والبعث معرضاً عن آيات الله تعالى ومعجزاته وانه قاصر شهواته على الفجور غير مكترث في حفظها بما يصدر منه ذكر حال من يثابر على تعلم آيات الله تعالى ومن يرغب في حفظها وتلقنها والنظر فيها وعرضها على من ينكرها وجاء قبوله إياها ليظهر بذلك تباين من يرغب في تحصيل آيات الله تعالى ومن يرغب عنها وبضدّها تتبين الاشياء **))**(6) . وقريب مــن ذلك قـــول الـزمخشري:**((** فإن قلت كيف اتصل قوله (لاتحرك به لسانك) الى آخره بذكر القيامة؟ قلت:اتصاله به من جهة التخلّص منه الى هذا التوبيخ بحب العاجلة وترك الاهتمام بالآخرة **))**(7)

ثانياً: تأسيساً على الرأي الثاني– الذي عرضناه في تفسيرهذه الآية– الذي يرى ان الخطاب للكافر وليس للرسول(صلى الله عليه واله وسلم) يكون هذا المقطع وهذه الآية المباركة منسجمة مع سائر الآيات السابقة واللاحقة لها في السورة ، اذ الحديث كله منصب حول ذلك الانسان الكافر بالبعث والقيامة.

ثالثاً: ما قاله السيد قطب في بيان وجه من وجوه هذا الترابط ، يقول: **((** واول ما يلحظ من ناحية التناسق في السياق هو تسميته الدنيا بالعاجلة في هذا الموضع , ففضلاً عن ايحاء اللفظ بقصر هذه الحياة وسرعة انقضائها وهو الايحاء المقصود فإن هناك تناسقاً بين ظلّ اللفظ وظلّ الموقف السابق المعترض في السياق وقول الله تعالى لرسوله (صلى الله عليه {واله} وسلم) ((لاتحرك به لسانك لتعجل به)) ، فهذا التحريك وهذه العجلة هي احد ظلال السمة البشرية في الحياة الدنيا ... وهو تناسق في الحس لطيف دقيق يلحظه التعبير القرآني في الطريق **))**(8) .

رابعاً: ان قوله تعالى : ((لاتحرّك به لسانك لتعجل به )) مرتبط بالآية التي قبله من المقطع السابق وهي قوله تعالى ((بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره)) ، اذ **((** ان الحجج والمعاذير انما تُلقى باللسان فارتبطت بقوله ((لاتحرّك به لسانك)) **))** (9) .

|  |  |
| --- | --- |
| 4 | ***المبحث الأول : عمارة ا لسورة او البنية المعمارية*** |

خامساً: في المقطع عملية جمع واحضار (( ان علينا جمعه وقرآنه ...)) وان اختلف النوع ، وهذا يتساوق – ايضاً – مع ما اوردته بعض المقاطع السابقة من مضامين كـ ( جمع العظام ، وجمع الكواكب ، وعرض الاعمال- كقوله تعالى : (( ينبأ الانسان يومئذٍ بما قدّم وأخر))

سادساً: يبدو – والله اعلم – انه لمّا كان الخطاب الأول للنبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) بوصفه المتلقــــي الأول للنص ، جــــاء قوله تعالى ((لاتحرك به لسانك ...)) مراعاة له (صلى الله عليه واله وسلم) ، وتخفيفاً وترويحاً من سلطة النص وقوّة تأثيره عليه (صلى الله عليه واله وسلم) ، إذْ أن طاقة النص حينما بدأت تتصاعد تبعاً لتنامي الاحداث والاهوال كان لها تصاعد آخر ((استجابة)) من لدن المتلقي الأول وهو رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ، لذا جاء هذا النص (لاتحرّك...) للتخفيف من حدّة حضور الصورة والمعنى في الذات المحمدية التي اختزنت اعلى مستويات الاستجابة والتأثر لإنطلوجيا النص ، وخوفاً عليه من الصعقة التي تحدث له نتيجة انكشافه على عالم الآخرة وأهوالها ، فكان تغيير الخطاب انعطافة نسقية حرفت مسار الاحداث من عالمها الاخروي الى عالم الدنيا ، فصار النص بمثابة محطة ترويح وتسرية لرسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ، الذي وُجّه الخطاب اليه لينصرف ذهنه قليلاً عما رآه بعين البصيرة من صور وأهوال مرعبة .

سابعاً: والاهم من هذا كله هو اثبات القدرة الإلهية ولسلطة الربانية النافذة في كل شيء والمهيمنة على مقأليد الامور بحكمة وتدبير . فـ (نا) الجماعة المشعر بالعظمة الإلهية والقدرة الجبارة التي تحكم الملك والملكوت بأسره ، هذا الضمير نراه يتكرر في سياق المقطع وآياته (ان علينا ....) (فإذا قرأناه ...) ، ( ان علينا بيانه) ليقرع المسامع والعقول بأن الله سبحانه هو وحده القادر على كل شيء ، اذ تصّرف في الخلائق قدرتُه ، وهذا يتناسب مع جو السورة الذي تكهرب بتلك القدرة والعظمة الإلهية من خلال عرض بعض تجلياتها .

|  |  |
| --- | --- |
| 5 | ***المبحث الأول : عمارة ا لسورة او البنية المعمارية*** |

***\* البنـاء اللغـوي***

**وعاء الاسناد**:- جاء الوعاء الاسنادي لمعظم جمل السورة متكوناً من ( فعل + فاعل) أي : (جملة فعلية) ، فقد كثرت الافعال كثرة ملحوظة غطْت على الجمل الاسمية التي قل استعمالها في هذه السورة المباركة ، اذ ورد ثمانية واربعون فعلاً ، توزعت بين المضارعة والمضي وفعل واحد للأمر وهو (اتّبعْ) في قوله تعالى ((فاّتبعْ قرآنه)) .

ولما كان من طبيعة الفعل الحركة والتجدد لاءم هذا الجو العام للسورة ، إذ نجد أن معظم مفاصل السورة وآياتها جاءت مشحونة بأجواء من الحركة والاضطراب على الصعيد الكوني وعلى الصعيد البشري وخوالج النفس ، ولهذا كثرت الجمل الفعلية .

ويلحظ ايضاً ان لشبه الجملة نصيباً في ذلك البناء ، اذ وردت بعض النصوص بوعاء شبه الجملة ، وكان اكثرها يعود الى الذات الالهية المقدسة ( الى ربك ، ان علينا ...) ، لأنه سبحانه حاكم يوم القيامة – موضوع السورة – وان كلّ شيء صائر إليه وارجع اليه لامحالة .

**عناصر الاسناد:**- ذكرنا ان ( الفعل والفاعل) هما اكثر عناصر الاسناد ورودا في هذه السورة المباركة ولكن طرأت بعض التغيرات على هذين العنصرين من حيث :-

**الحذف** :- فقد وردت بعض الآيات القرآنية محذوفة الفاعل كقوله تعالى : (( اذا بلغت التراقي ...)) والتقدير : بلغت النفس التراقي ، وقوله تعالى : (( وظن انه الفراق )) اي الانسان ، وقوله ( فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ...) اي ذلك الانسان الجاحد ليوم البعث والقيامة ، -الذي دلّت الروايات على انه ( ابو جهل) - ، وقوله تعالى : (( فخلق فسوّى )) وهو الله سبحانه وتعالى . فحذف الفاعل هنا جاء لوضوح الدلالة عليه ، فهو مفهوم من خلال سياق الآية الكريمة وأن حذفة يكون أبلغ من ذكره في الكلام من الناحية الجمالية .

وفي آيات اخرى حذف الفاعل وبُني لغير فاعله لدلالات بلاغية يذكرها اهل البلاغة ، كتعظيم الفاعل في قوله تعالى (( وجمع الشمس والقمر )) ، اذ ان هذا الجمع مما لايقدر عليه غيره سبحانه ، او لتهويل

|  |  |
| --- | --- |
| 6 | ***المبحث الأول : عمارة ا لسورة او البنية المعمارية*** |

ذلك اليوم ولتفريع الانسان يحذف الفاعل كقوله تعالى : (( يُنبّأ الانسان يومئذٍ بما قدّم وأخّر )) ، او لعدم العناية بالفاعل في قوله تعالى (( وقيل من راق)) ، اذ ليس المراد او المهم من هو القائل ، بل من الذي يرقيه وينجّيه .

2- التقديم والتأخير :- لم يحصل التقدّيم والتأخير في الجمل الفعلية ، بل حصل أكثره في الجمل الاسمية التي ورد خبرها ( شبه جملة من الجار والمجرور ) فتقدّم الخبر على المبتدأ ، في قوله تعالى : (( الى ربك يومئذٍ المستقر)) وقوله : (( ان علينا جمعه وقرآنه )) ، (( ان علينا بيانه)) ، ((الى ربّك يومئذ المساق)) ، (( الى ربّها ناظرة)) ، ويمكن ان نعلل هذا التقديم بأنه جاء للعناية بالمتقدم وتخصيصه وحصر الإخبار به ، لأنه – كما دكرنا آنفاً – متعلّق بالذات الالهية المقدسة التي تنتهي عندها كل غاية . وجاءت آيات أخرى تأخرت فيها رتبة (المسند اليه) بتقدم الظرف في قوله تعالى : (( وجوهٌ يومئذٍ ناظرة )) وقوله (( وجوه يومئذٍ باسرة)) ، وتأخرت رتبة (المسند) في نحو قوله تعالى: (( بل الانسان على نفسه بصيرة )) بتقدم الجار والمجرور ، وتأخر رتبة (المفعول) بتقدم الجار والمجرور في قوله تعالى : (( لاتحرّك به لسانك )) وقولــه (( فجعل منه الزوجين )) , وكذا تأخر رتبة (الحال) بتقدم الجار والمجرور ايضاً في قوله تعالى : (( ثم ذهب الى اهله يتمطى)) . ولهذا التقديم والتأخير أسرار بيانية ودلالية عميقة تحتاج الى الوقوف عندها وبحثها – بما لايسع له المجال – خصوصاً اذا ما علمنا ان المتقدم في اغلب هذه الموارد هو (الجار والمجرور).

3- الاساليب :- كثرت الاساليب التي دخلت على عناصر الاسناد في السورة المباركة وتنوّعت ايضاً ، فهناك التوكيد في قوله تعالى ( كلا لا وزر.. ، لا صدق ولا صلى.. ) ، والقسم في قوله( لا اقسم بيوم القيامة ، لا اقسم بالنفس اللوامة ) ، والاستفهام الذي كان أكثر وروداً كقوله تعالى( ايان يوم القيامة ، أيحسب الانسان ... ، أين المفر ، من راق ...) ، والنهي في قوله( لاتحرّك به لسانك ..) ، والشرط في قوله تعالى( اذا برق البصر ... يقول الانسان يومئد اين المفر ، إذا قرأناه فاتبع قرآنه ) . وكان لهذه الأساليب الدور البارز – شكلاً ومضموناً – فقد أسهمت ( مع وعاء الاسناد ) في تمتين أواصر البناء التركيبي لجمل النص القرآني ، وتوسيع دلالاتها وتنوّع صيغها ، واضفاء بعض الصور البلاغية عليها فضلاً عن اثراء الجانب اللغوي لعموم السورة المباركة .

|  |  |
| --- | --- |
| 7 | ***المبحث الأول : عمارة ا لسورة او البنية المعمارية*** |

\* ***المعنى المركزي وطرق الدلالة عليه***

تبدأ السورة المباركة اول ماتبدأ بالتأكيد على حقيقة أخروية كبرى هي ( البعث والنشور ) ليوم القيامة ، الذي تأكّد بالقسم في مفتتح السورة من قوله تعالى ( لا اقسم بيوم القيامة ) .

فهذه الحقيقة هي المعنى المركزي والمحور الاساس الذي ستدور حوله كل احداث السورة ومفاصلها .

فبعد اثبات هذه الحقيقة الكلية وتوكيدها تبدأ الاحداث بالتسلسل والتدرّج من ذلك الكل الى التجزيء والتفصيل ، لتعرض تجليات تلك الحقيقة عبر مصاديقها على ارض الواقع الاخروي .

وأول ماتبدأ به هو دفع الشبه والشكوك لدى الانسان الجاحد ونفي الريبة عن ذلك اليوم بعرض القضية على شكل سؤال يخاطب العقل البشري الذي ينكر حقيقة البعث وباستفهام انكاري فيه نوع من التقريع لذلك الانسان الشاك في بعثه وجمع عظامه (( أيحسب الانسان ان لن نجمع عظامه ...)) ، وفي هذا المقطع يطرح اول مصداق للبعث وهو ( جمع العظام) ، وقد سيق هذا الحدث باسلوب الاستفهام ليستدعي الجواب الذي بعده وهـــــــو قولــــه تعالـــى : (( بلى قادرين على ان نسوّي بنانه )) ، اذ أُردِفَ ذلك الشك الذي خالج النفس الانسانية بحقيقة تكوينية علمية ، توضح بعض تجليات القدرة الالهية التي لاحدود لها ، وكأنّ الآية المباركة تخاطب ضمير الانسان وعقله ، بأن الله العلي القدير الذي قدر على خلقك وما ابدع من عظيم الخلقة في بنانك ( بصمة ابهامك التي لا يشاركك فيها احد من الخلق ) لقادر على جمع عظامك ، وما جمعها بعد الفناء بأعظم من انشائها وخلقها من العدم اول مرة ، وفي هذا تأكيد على موضوع السورة ومعناها المركزي .

ويعود الشك مرة اخرى ليخالج النفس الامارة بالسوء فتتساءل عن ذلك اليوم وموعده سؤال تهكم واستبعاد ( بل يريد الانسان ليفجر امامه يسأل أيان يوم القيامة ) ليستدعي جواباً آخر بمقطع آخر يحمل تجليات جديدة لمعنى السورة المركزي وهو ( البعث) ليوم القيامة في قوله تعالى : (( فإذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذٍ اين المفرّ)). ويأتي هذا المقطع ليصب في الغرض الاساس الذي تدور حوله الاحداث وذلك بعرض مشهد من مشاهد يوم القيامة .

|  |  |
| --- | --- |
| 8 | ***المبحث الأول : عمارة ا لسورة او البنية المعمارية*** |

ثم تتسلسل الاحداث بالتنامي والصعود فيأتي مقطع آخر ليعرض لنا صورة ذلك اليوم ، وهي صورة الوقوف للحساب بين يدي الله عزوجل ، فبعد جمع العظام ونشرها ، وجمع الكواكب ونشرها ، يأتي مشهد الحساب (( وجوه يومئذٍ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذٍ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة)) ، لتبدأ من ذلك المقطع مرحلة مصير الانسان وما ينتظره فتلبغ القلوب الحناجر والابصار واجفة تترقب ، وعند هذا المقطع وما يليه تبدأ السورة بالتحوّل الى سياقٍ عاطفي اكثر منه عقلي لتخاطب الوجدان وتحرك المشاعر وتثير في النفس عنصري الترغيب والترهيب فتعرض صور السعادة والشقاء .

ثم يتنامى الحدث وبشكل أقوى واشدّ مما سبق حتى يبلغ القمة او الذروة فيأتي مقطع مفعم بالحركة والاضطراب ومشحون بأجواء الرهبة والاهوال والصور المرعبة ليختزل مجمل ما يمرّ على الانسان من ساعة الاحتضار وخروج الروح حتى الوصول الى الحساب والوقوف بين يدي الله عزوجـــــــل وهـــــــو قولــه تعالى : (( كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن انه الفراق والتفّت الساق بالساق الى ربك يومئذٍ المساق )) . وبعده مباشرة تأتي مرحلة ( الجزاء ) بمقطع ينزل بالاحداث من الذروة الى النهاية المؤلمة والمصير المفجع الذي صار اليه ذلك الانسان المنكر المكذب (( فلا صدق ولا صلى ولكن كذّب وتولى ...)) ، فالقارئ الواعي حينما ينتقل من المقطع السابق (( كلا اذا بلغت التراقي ...)) - الذي يظهر قوة الحدث وفجاعة الحقائق وما يجري في ذلك اليوم من اهوال ، وما يصاحبها من ثكيتف ايقاعي وقوة تعبيرية - الى المقطع الذي بعده وهو (( فلا صدق ولا صلى ... )) يستشعر ذلك التحول والانكار في الحدث وباستثارة عاطفية تنزل به من قمة الحدث الى المآل المؤلم الذي صار اليه ذلك الانسان ، فتهدأ العبارة ويخفت الايقاع ليتساوقا مع دلالات ذلك المقطع المأساوي .

وفي نهاية السورة يأتي المقطع الأخير ليجدّد في الذهن الحقيقة التي اقرتها السورة في أول آياتها واكّدتها وهي البعث ليوم القيامة ، فيبدأ باستفهام انكاري – كما في اول السورة (( أيحسب الانسان ان يترك سدى )) ليستدعي جواباً يزيل فيه ادران الشك والريبة عن القلب والعقل فيبين لذلك الجاحد اصل خلقته ومدى حقارتها وتصاغرها امام العظمة الإلهية (( أ لم يك نطفة من منيّ يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى )) ، ليختتم السورة المباركة باستفهام يخاطب العقل والوجدان : أن ياأيها الانسان إن كنا قد قدرنا على خلقك وانشائك ولم تكُ شيئاً يذكر أفلا نقدر على إحيائك بعد فنائك ؟! (( أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى )) .

|  |  |
| --- | --- |
|  |  |

|  |  |
| --- | --- |
|  | 9  ***المبحث الثاني : تقنيات التلقي و عوامل الإثارة*** |

***التلقّي وعوامل الإثارة***

لقد عنيت الدراسات النقدية الحديثة عناية كبيرة بالمتلقي بوصفه احد الأركان الأساسية في عملية التواصل والإبلاغ ، فتولد على اثر ذلك اتجاهات ونظريات كان لها صداها في المنجز الثقافي العالمي ، فــ**((** لم يعد القارئ مرسلاً إليه فقط وإنما أصبح متلقياً قادراً على الدخول او العبور الى النص او الاندماج فيه **))**(10) .

وقد أفرزت هذه الجهود نظريات عديدة كان محورها المتلقي ، كنظرية : "التلقي" و"الاستقبال" و"نقد الاستجابة" و"التأثير والاتصال" . وفي المقابل برزت مصطلحات جديدة عبرت عن خلاصة تلك النظريات ورؤى أصحابها ومنها : مصطلح ( المفاجأة) عند ريفاتير، و( التوقع الخائب او الانتظار المحبط) عند ياكوبسن ، و( الفراغات والفجوات) عند آيزر ، و(أفق التوقع) عند ياوس ،

ففي حديثه عن الأسلوب يقرر ريفاتير أن **((** السياق الأسلوبي هو انموذج لساني مقطوع بواسطة عنصر غير متوقع **))**(11) ، اي ان المثير الاسلوبي الذي يحفز القارئ انما يحصل بكسر التوقع وإحداث المفاجأة ، **((** فالمفاجأة التي يثيرها النص هي اختراق وتجاوز لما هو متوقع ومنتظر . فالمتوقع او المنتظر لايثير شيئاً ذا بال في وعي القارئ ، بينما تثير العناصر غير المتوقعة وعيه ، ولذلك اصبحت المفاجأة وصفاً لردود فعل القارئ ازاء المنبهات والمثيرات الكافية في النص**))**(12).

اما ياكوبسن فيرى ان (التوقع الخائب) يخلق عند القارئ لذة تدفعه الى التفاعل مع النص وملازمته واستكشاف بواطنه ، في حين يرى (آيزر) ان العلاقة بين القارئ والنص علاقة تبادلية وليست أحادية الجانب ،لأن عملية القراءة تبدأ من النص إلى القارئ ثم من القارئ إلى النص(13)، **((** فبقدر ما يقدم النص للقارئ يضفي القارئ على النص أبعاداً جديدة قد لايكون لها وجود في النص **))**(14).

|  |  |
| --- | --- |
|  | 10  ***المبحث الثاني : تقنيات التلقي و عوامل الإثارة*** |

اما مصطلح (الفرغات والفجوات) فيعني به (آيزر) مايتركه المبدع او منتج النص للقارئ او المتلقي الفطن من فراغات متعمدة تنجم من حيل اسلوبية يكتشفها القارئ المتمرس محاولاً ملأها وفهم ابعادها (15).

لقد منحت هذه النظريات وما افرزته من مصطلحات القارئ او (المتلقي) دوراً اساسياً من خلال تفاعله مع النص فأصبح عنصراً فاعلاً ومؤثراً في انتاج النص ومسهماً في بلورة دلالاته وملء فراغاته واستبطان مكنوناته وابراز جمالياته .

ومن خلال دراستنا المتواضعة لسورة القيامة رصدنا عددا من التقنيات التي وظفت في السورة المباركة لإثارة المتلقي وتحفيز الاستجابة لديه سنستعرضها في هدا المبحث

***\*الاستهلال والاستباق والاسترجاع:-***

اما الاستهلال: فهو مصطلح عربي قديم عرفه العرب وأطلقوا عليه تسميات عديدة منها:( حسن الابتداء) و(براعة الاستهلال) و(الافتتاح )(16) ، وكانوا يعدونه من أهم عوامل نجاح عملية التلقي والتواصل . وفي النقد الحديث لقي هذا المصطلح اهتماماً كبيراً ايضاً ، لأنه يؤدي وظيفتين مهمتين:-

الأولى :- تحفيز المتلقي وشد انتباهه نحو موضوع النص ، والثانية:- عرض محتوى النص بأوجز عبارة وأيسر قول . ومن هنا ارتبط الاستهلال ببنية النص ارتباطاً عضوياً وثيقاً(17).

واما (الاستباق والاسترجاع ) فهما من تقنيات علم السرد الحديث ، اذ ينتميان الى مايسمى بـ (المفارقة السردية) (18).

فالاستباق يعني **((** تقديم الأحداث اللاحقة والمتحققة – حتماً – في امتداد بنية السرد الروائي على العكس من المتوقع الذي قد يتحقق وقد لايتحقق **))** (19).

والاسترجاع يعني : **((** ان يتوقف الراوي عن متابعة الاحداث الواقعة في حاضر السرد ليعود الى الوراء مسترجعاً ذكريات الأحداث والشخصيات الواقعة قبل او بعد بداية الرواية **))** (20).

|  |  |
| --- | --- |
|  | 11  ***المبحث الثاني : تقنيات التلقي و عوامل الإثارة*** |

ولو تأملنا في السورة المباركة لوجدناها تستهل الحديث عن خطب جللٍ وحدث رهيب وهو قوله تعالى: ((لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة )) . فقد اسهم القسم المتكرر للآيتين المباركتين في تأكيد الحدث وتهويله وجعل المتلقي في خضم حيثياته وآثاره حينما عنيه بقوله: ((النفس اللوامة)) ، اذ أن هذا الربط المتناسق بين (يوم القيامة) و(والنفس اللوامة) من حيث التكرار اللفظي والإيقاع الموسيقي والتتابع الدلالي - بين قيام الساعة ومصير النفس الانسانية – كل ذلك صار بمثابة الجرس والمنبه الأولي الذي طرق الأسماع والأفهام ليوقظها من سكرة الشهوة ، ونومة الغفلة وتيه الشك والإنكار نحو ذلك الحدث العظيم ، فيثيرها ويشدها نحو متابعة أحداثه وأهواله التي جعلت النفس تتمرَد على ذاتها وتصبح مصدر الم وتعذيب لصاحبها .

وجاء هذا الاستهلال ليعطينا صورة موجزة مختزلة عما سيدور في هذه السورة من مشاهد وصور وأحداث على محورين هما (القيامة واهوالها) و (الانسان ومصيره) .

اما تقنية (الاستباق) فقد جاءت عقيب (الاستهلال) حينما عرضت للسورة المباركة أشراط القيامة وما يجري فيها من احداث واهوال بعد ان جحدها الانسان واستبعد وقوعها بسؤاله التهكمي ((أيان يوم القيامة)) . فجاءت الآيات بعد هذا الانكار لتؤكد وقوع ذلك الحدث لامحالة وهي قوله تعالى: ((فإذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الإنسان يومئذٍ أين المفرَ)) فعبرت بالافعال الماضية لتؤكد تحقق الوقوع . ثم تأتي بعدها الآيات تترى لتستشرف لنا المستقبل وتكشف لنا الاحداث التي تجري في ذلك اليوم ، وتستعرض لنا المشاهد والصور وما يجري على ذلك الانسان بما يجعاها حاضرة في دهنه ووجدانه وكأنها قد جرت وحصلت . وفي نهاية العرض تأتي تقنية (الاسترجاع) في مشهد يعيدنا الى المستهل او مفتتح السورة المباركة وهو قوله تعالى (( أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يكُ نطفة من منيَ يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ، أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى)) ليجعل المتلقي في حالة يقظة وتذكر لموضوع السورة الأساس وهو البعث والقيامة ، فعِبرَ الاسترجاع أُعيدَ مفهوم البعث , وعن طريق آلية التساؤل الاستنكاري الذي عكس رؤية الانسان الجاحد الذي يحسب انه (يترك سدى ) يأتي الجواب ، ولكن بتذكير الانسان أولاً بأصل خلقته وحقارتها ، وثانيا ان من قدر على خلقه (( أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى )).

|  |  |
| --- | --- |
|  | ***المبحث الثاني : تقنيات التلقي و عوامل الإثارة***  12 |

وبهذا يكون النص قد خلق عبر هذه التقنيات الإثارة التي حفزت استجابة المتلقي من حيث انه طرق الذهن بعنوان جللٍ وحدثٍ عظيم شدّ الذهن نحوه وحفزه لتتّبع مصاديقه وآثاره ، حتى إذا ما شُحِن بأجواء الحدث وصار طرفاً فيه أُعيدَ له ذلك العنوان مرة اخرى ليرسخ في قرارته . وقد ظهر من خلال التأمل في السورة المباركة أن هناك خيوط اتصال وتشابه بين بدايتها ونهايتها فعززت ذلك الترابط العضوي بين مفاصل السورة وبرّزت دور ( الاستهلال والاسترجاع) في تأكيد الحدث وترسيخه ، وقد جاء ذلك التشابه من حيثيات عدّة :- أولاً:- إن بداية السورة ونهايتها وردا بأسلوب واحد وهو اسلوب الاستفهام الذي خرج لغرض مجازي هو الانكار على ذلك الانسان الجاحد ، وكذلك بتكرار العبارة نفسها ، ففي المفتتح نقرأ : ((أيحسب الانسان ان لن نجمع عظامه)) وفي الخاتمة نقرأ ((أيحسب الانسان ان يُترِكَ سُدى)).

ثانياً:- ان المخاطب في كلا الموضعين هو الانسان نفسه .

ثالثاً:- ان المعنى العام للآيتين واحد وهو إثبات البعث الذي أنكره ذلك الانسان ظاناً أنه سيُترك سدى وتبلى عظامه وتندثر ولارجعة ولاحياة له بعد كل ذلك .

رابعاً:- ان تداعي الاستفهامين قد افرز رداً واحداً وهو إثبات البعث ولكن بإسلوبين مختلفين بحسب طبيعة الاستفهام والإشكال الذي أورده ذلك المشكّك ، ففي آية الافتتاح جاء الردّ الدامغ بقوله : ((بلى قادرين على ان نسوّي بنانه)) لأن الاستفهام والإنكار كان حول جمع العظام بعد الموت فجاء الرد بما يلائم المطلب فدكر شيئاً من لوازم العظام وجزءاً منها وهو (البنان) وخلقه وتسويته ، اما آية الخاتمة فجاء الرد فيها مستعرضاً اصل خلقة الانسان وتكوّنها وهي قوله تعالى : (( ألم يك نطفة من منيّ يمنى ، ثم كان علقة فخلق فسوّى)) لتناسب ما قبلها من الاستفهام والإنكار للبعث روحاً وجسداً ، الذي تمثل بقوله سبحانه : (( أيحسب الانسان ان يترك سدى)) فأعقبه بقوله : (( أليس ذلك بقادر على أن يحُيي الموتى)) ليثبت ذلك البعث .

خامساً:- ان في كلا الموضعين خطاباً للوجدان والعقل ، إذ خوطب الوجدان بإسلوب التقريع والتأنيب الذي يحرّك خوالج تلك النفس ومشاعرها أنْ يا نفسُ كيف تشكّين بقدرة ربّكِ وخالقك وتنكرين لقاءه وانتِ منه واليه ؟ ، وخوطب العقل بأسلوب التفكّر والتدبّر في خلقة العظام وتسوية البنان ، وفي مراحل تكوين الجسد ، فلعلّ ذلك الانسان يذعن فيؤمن .

|  |  |
| --- | --- |
|  | ***المبحث الثاني : تقنيات التلقي و عوامل الإثارة***  13 |

* ***الثنائيات الضدّية:-***

تسهم بنية التضاد في خلق النسق الاسلوبي داخل النص لأنها تؤدي الى خلخلة البنية النمطية السائدة عبر كسر السياق وإحداث المفاجأة ، إذْ أن **((** معدن المفاجأة ومولدها هو اصطدام القارئ بتتابع جملة الموافقات بجملة المفارقات في نص الخطاب **))**(21) . ولهذا كان لهذه الظاهرة الاسلوبية الدور الكبير في إحداث التأثير في المتلقي لأن **((** البنية النسقية المتوازية والمتلائمة في اسلوب التقابل بنية نسقية مندمجة الأجزاء في سياق قائم على التناظر في الشكل ومتفاعل مــــــــــع الدلالة ،

فما تكاد تلتقي حتى تفترق على التضاد أو على التشاكل لتخلق لذّة جمالية مفاجئة ومثيرة وهي تنتقل من اسلوب نسقي الى آخر لتحدث في النفس قبضاَ وبسطاً ، هيبةً وأنساً ، خوفاً ورجاءً **))**(22).

وفي النص القرآني تتجلى تلك الظاهرة بأبهى صورة وأجمل أداء ، يعكس ذلك الابداع الخلاَق اللامتناهي ، إذّ تتلاحم بنية التضاد مع بنية الايقاع في نسق واحد فتبرز جمالية الاسلوب ابهى واجلَ ، ويكون التأثير اكثر فاكثر .

فالقارئ لسورة القيامة يجدها مفعمة بالثنائيات الضدية بشكل واضح وجلي ، وقد توزّعت على معظم آيات السورة المباركة فيجد التضاد بين (البرق والخسف) في قوله ( اذا برق البصر وخسف القمر ) ، إذ الأول يشتد توهجاً والآخر ينطفئ ، و(قدّم وأخّر) و(تحبون وتذرون) و(العاجلة والآخرة) في قوله (تحبون العاجلة وتذرون الآخرة ) ، و(ناضرة وباسرة) و(صدق وكّذب) و(صلى وتولى). و(الموت والحياة) في قوله: (يحيي الموتى) . ان هذا التنوع في عرض الضديات جعل النص عموماً يخضع لنسيج ثنائي مكون من صورتين يحكهما عنصر التضاد الذي أضفى على النص حركة وحيوية ، لأنه جعل المتلقي في حالة نفسية متوثبة تتماوج مع تموجات النص وتتنقل بين ثنائياته في انقباض وانبساط ، في شد وجذب وفرح وحزن ، وهدم وبناء تفضي نتائجه في استكناه العبر واختيار المصير .

|  |  |
| --- | --- |
|  | ***المبحث الثاني : تقنيات التلقي و عوامل الإثارة***  14 |

وقد اسهمت هذه الثنائيات في تفعيل العلاقة بين النص والمتلقي عن طريق إحداث الرياضة العقلية التي جعلت ذهن المتلقي يتحّرك بين تلك الصور المتضادة ودلالاتها **((** بحثاَ عن تطابق او تقابل وعن تماثل او تباين وعن تناظر أو تصاقب للوقوف من خلال ذلك كله على تواؤم أو مفارقة**))**(23) ، فضلاً عن المسحة الجمالية التي اضفتها على النص عموماً من خلال التناسق الصوتي والايقاعي على المستوى الداخلي والخارجي لبنية التضاد الذي اطرب الأذن فتفتحت له اسارير النفس ، كل ذلك حفّز المتلقي نحو الاستجابة للأثر الكلي للنص القرآني المبارك .

***المشهد :-***

يُعدّ المشهد أحد التقنيات التي استعملها النص لإثارة المتلقي ودفعه نحو الاستجابة . اذ بُنيت السورة المباركة على شكل مشاهد جعلت المتلقي كأنه امام فلم وثائقي بعنوان (يوم القيامة) ، هذا الفلم يضم مشاهد عدّة تتسلسل بالصعود التدريجي . فالمشهد الأول يحمل العنوان ويؤكدّه ، والمشهد الثاني يعرض احداث جمع العظام ، والمشهد الثالث يعرض احداث خطف البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر ، والرابع يعرض احداث الحشر والوقوف بين يدي الله عزوجل للحساب ، والخامس مشهد خاطف يختزل عملية (بعث الانسان) ، من خروج روحه حتى ملاقاة الجزاء ، وأخيراً المشهد الختامي الذي يُنهي الاحداث ليعود بها الى نقطة البداية، فيكون بمثابة استرجاع لصورة المشهد الأول الذي حمل العنوان . وعن طريق عنصري التداعي والتنامي في الحدث تتصاعد تلك المشاهد حتى تبلغ الذروة أو القمة ، ثم ما تلبث ان تنزل نحو الانحدار او الانكسار الذي يفضي الى النهاية . ولم يكتف النص بهذا ، بل خلق في داخل كل مشهد عوامل اثارة جعلته مليئاً بالصور الحركية وشحنته بأجواء نفسية مزجت بينها وبين ما يعتور النفس من مكاره ويسرَها من محاسن ويؤنسها من صور مزجاً يحفّزها نحو الاستجابة والتفاعل مع تلك الصور سلباً وايجاباً ، ترهيباً وترغيباً .

فمشهد مثل قوله تعالى (( فإذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ اين المفر)) وُظَف ليبين حيرة الانسان التي تخلقها تلك الظلمة من (خطف البصر وخسف القمر ) وذلك الجمع (للشمس والقمر ) فيقول: (اين المفر) ، وفي تلك الحيرة ينطلق الأمل في الخلاص : ( الى ربك يومئذ المستقر ) ، فتنتقل النفس مـــــــــن حيـــــــرة التيـــه الى أمل الرحمة الربانية .

|  |  |
| --- | --- |
|  | ***المبحث الثاني : تقنيات التلقي و عوامل الإثارة***  15 |

ثم ما تلبث أن تهدأ حتى تفاجأ بمشهد آخر يشدَها فيرسم لها صوراً اخرى متضادة تبدأ بعنصـر التــــرغيب ( وجوهٌ يومئذٍ ناضرة الى ربها ناظرة ) فتنفتح سرائرها لتلك الصورة المفعمة بأجواء الراحة والسعادة فتشعــر بالنشــوة لعاقبـــة فعـــل الخيـــر ، حتــــى اذا انتهــت جــــاءها عنصر التــــرهيب ليقبضها ويكدّرها ويشعرها بعاقبة الشرَ المؤلمة ( ووجوهُ يومئذٍ باسرة تظن أن يُفعل بها فاقرة ) .

وهكذا مع بقية المشاهد ، إذ نجد أن هذا الترابط السببي في تسلسل الأحداث داخل المشهد الواحد أعطاه طابعاً حركياً جعل المتلقي مندمجاً في تصاعد تزامني مع صوره المتنوعة التي اصبحت عوامل جذب وتشويق شدّته ودفعته للانسياق وراءها ذهناً ووجداناً ليستجمعها في النهاية في كل متناسق يفضي الى الحقيقة التي اكّدتها السورة المباركة وجعلتها عنواناً لها .

* ***التكرار:ــ***

التكرار عنصر مهم من عناصر الاثارة في النص ، فهو يعمل على تكثيف الجانب الصوتي اذ يخلق جواً من التناغم الموسيقي من خلال ترجيع الاصوات وتكرارها على وتيرة واحدة وايقاع منتظم ، فضلاً عن ايحاءاته الدلالية والنفسية ، فهو – كما تقول الدكتورة نازك الملائكة – **((** إلحاحٌ على جهةٍ هامّةٍ\* في العبارة ...**))** (24)، ولا بد لهذا الإلحاح من دوافع واسباب يكشفها المتلقي من خلال آثار هذه الظاهرة .

ولهذا عُدّ التكرار من ابرز المظاهر الاسلوبية التي عنيت بها الدراسات النقدية الحديثة لما تحدثه من أثر جمالي ونفسي ودلالي في النص ومتلقيه .

وفي سورة القيامة كان للتكرار دور فاعل في رسم معالم الجمال الفني وخلق أجواء الإثارة داخل النص ، فالقارئ للسورة المباركة يجد أن أول ملمح اسلوبي يطالعه هو التكرار الذي يبدأ مع أول آيتين من السورة وهما قوله تعالى ((لا اقسم بيوم القيامة ، ولا اقسم بالنفس اللوامة )) ، ثم ينتشر في معظم آياتها بمستوياته الثلاث ( الحرف ، والكلمة ، والعبارة) .

وسنكتفي بالإشارة الى شاهدين اثنين للتدليل على هذه الظاهرة ودورها- تحاشياً للإطالة- ، وإلاَ فإن هذه الظاهرة لوحدها بحاجة الى دراسة مستفيضة تحيط بكل جوانبها وتجلياتها في السورة المباركة .

|  |  |
| --- | --- |
|  | ***المبحث الثاني : تقنيات التلقي و عوامل الإثارة***  16 |

الشاهد الأول :- تكرار لفظة (انسان) : فقد تكررت هذه اللفظة في معظم آيات السورة المباركة نحو : ( أيحسب الانسان) ، ( بل يريد الانسان...) ، ( يقول الانسان .. ) , ( يُنبأ الانسان ...) . ( أيحسب الانسان ... )

ولهذا التكرار وبهذا اللفظ بالذات اثر دلالي ونفسي في المتلقي ، ففيه اولاً:- ملاءمة لغرض السورة وعنوانها، اذ أن يوم القيامة متعلق بالدرجة الأساس بالانسان ومصيره بعد الموت ورحلته الى الله تعالى ، حتى صار يوم القيامة موعد لقاء الانسان ربه وملاقاة جزائه . وثانياً:- ان هذا التكرار للفظة (انسان) أضفى على معظم مفاصل السورة شحنات عاطفية جعلت المتلقي منسجماً مع الاحداث ومتفاعلاً معها ، لأنها جّسدت حالاته النفسية وآلامه وأفراحه وخاطبت عقله ووجدانه لتكشف له عن مصيره الأبدي وما سيؤول اليه ، فوضعته في قلب الحدث مسلوب الإرادة بعد أن كان مريداً ، ومسيَراً بعد أن كان مخيَراً ، ومقاداً بعد أن كان قائداً ، ليوقن انه بعد الموت لايُترك سُدى .

والشاهد الثاني :- تكرار لفظة ( يومئذٍ) في نحو (يقول الانسان يومئذٍ) (ينبأ الانسان يومئذٍ) ، (وجوهٌ يومئذٍ ناضرة) ، ( وجوهٌ يومئذٍ باسرة) ، (الى ربك يومئذٍ المساق) ، و( الى ربك يومئذٍ المستقر) . وقد أدت هذه اللفظة بتكرارها وظيفتين :- الاولى :- انها أعطت المشاهد والأحداث التي وردت في سياقها دلالة زمنية أخلصتها الى المستقبل . الثانية :- انها كانت أداة استرجاع وربط , أحالت كل حدث وردت في سياقه وربطته بمقدمة السورة ومعناها المركزي ، إذ أن الاحداث التي سيقت انما هي متعلقة باليوم الذي اقسمت به السورة في بدايتها وهو (يوم القيامة ) فصار تكرار لفظة (يومئذٍ) مع كل حدث بمثابة الجرس او المنبه الذي يثير المتلقي ويوقظ ذهنه لئلاَّ ينسى ذلك اليوم وأهواله. وجـــــاء التكــرار في السورة المباركة بإسلوب آخر وهو إسلوب الجناس اللفظي الذي تمثل في (ناضرة ، وناظرة) و( قرأناه ، وقرآنه) و( التراق ، وراق) و(منيّ، ويمنى ), فأسهم في إشاعة النغم الموسيقي من خلال تكرار الأصوات وانسجام بعضها مع بعض, وكذلك في التكرار الإيقاعي للفاصلة ، إذ **((** ان التجنيس بأنواعه ضرب من ضروب التكرار المؤكد للنغم **))**(25)  فصار هذا الاسلوب -ايضاً -عنصراً من عناصر الاثارة في النص .

|  |  |
| --- | --- |
|  | ***المبحث الثاني : تقنيات التلقي و عوامل الإثارة***  17 |

* ***الإيقاع :-***

للإيقاع دور كبير في إثارة المتلقي لأنه يعمل على إظهار القيمة الجمالية للنص ويثير في المتلقي ذلك الانفعال النفسي والإحساس العاطفي في الانشداد والانقياد لتلك القيمة والتفاعل معها , لذا فلاغرو ان نجد إمامي الفلسفة وهما ( افلاطون وتلميذه ارسطو ) يتفقان **((**على ان الأساس الجمالي يكمن في الايقاع وفي العناصر التي يشملها نظامه **))** (26) .

ومن هنا وُظّفَ الإيقاع توظيفاً رائعاً في القرآن الكريم خلب الأسماع وأسر القلوب ، **((** فالتناسق الذي يستشعره القارئ لحروف القرآن ونظامها التركيبي ينتهي الى جرس مؤثر وممتع ، ولاسيما حين يستقرّ عند الأثر العظيم للفواصل القرآنية **))**(27) ، وأكثر من هذا فإننا نجد كلَّ مفردة من مفردات القرآن الكريم تتصف بالخفة والعذوبة النابعة من انسجام أصواتها(28) .

لاشكّ في ان التأثير الموسيقي للفاصلة **((** يزيد الأسلوب رونقاً وجمالاً ، عندما يجيء على نمط خاص في تعبيره وتصويره مما يؤدي الى هذه اليقظة النفسية والإيحاءات المتعددة من جانب المتذوق لهذا التعبير والتصوير ويكمن ذلك النمط الخاص فيما تحدثه العبارة من جرس في الأسماع لم يلبث ان يتعمق بالوجدانات ويمتزج بالمشاعر والأحاسيس **))**(29) .

ان هذا التأثير والتفاعل يجعل المتلقي **((** في حالة تدبر وتفكّر بعد حصول الانفعال الوجداني والعاطفي لأنه يظل في حالة انشداد واعية للوظيفة الحيوية ومقاصدها ، وليصبح تبدل الإيقاع مثاراً لديه للانتقال من حال الى حال ومن مقام الى مقام ٍ آخر، فالمتلقي للإيقاع القرآني في صميم الأنساق اللغوية والتصورية بحسن ترتيبها وجلال نظمها ينفتح ذهنه على مستويات دلالية خاصة وعامة كلما تبدلت الإيقاعات المنتهية الى فاصلة قرآنية فتغدو بمنزلة القرار والجواب للسياق كله**))**(30). وفي سورة القيامة يتجلى لنا ذلك الإيقاع بأبهى صوره وجمالياته ، فما إن تبدأ السورة حتى تبدأ التنوعات الصوتية في تناسق إيقاعي يصاحب كل مقاطع السورة منذ بدايتها وحتى النهاية ، ولكل مقطع نسق إيقاعي وتناغم صوتي خاص يميزه عن المقطع الآخر تمثّل في الفاصلة التي انتهت إليها آياتها التي أسهمت في إنتاج دلالات المقطع وتوهّجها ، فضلاً عن إمتاعها الصوتي .

|  |  |
| --- | --- |
|  |  |
|  | ***المبحث الثاني : تقنيات التلقي و عوامل الإثارة***  18 |

فجاء المقطع الأول بفاصلة (الميم المفتوحة مع هاء السكت ) ( القيامة .... اللوامة ... عظامه ... أمامه ... قيامه ) ، وجاء الثاني بفاصلة ( الراء) (البصر ... القمر... ... القمر... المفر...وزر ، المستقر) ، ثم تحول الى ( النون المفتوحة ) ( قرآنه ... قرآنه ... بيانه) ، ثم الى ( الراء مع هاء السكت المفتوحة) ( ناضره ... ناظرة ... باسرة... فاقره) ثم الى (القاف) (التراق ... راق... الفراق... بالساق... المساق) ، وفي آخر مقطع تأتي ( الألف المقصورة) التي تقابل ( ألف الإطلاق) في الشعر(صلى ... تولى ... يتمطى .. أولى ... سدى ... يمنى سوٌى ... الأنثى ... الموتى ) .

إن اختيار الفاصلة جاء متساوقاً مع الدلالات التي حملتها المقاطع في الخفة والحدّة صعوداً ونزولاً ، فحينما نقرأ قوله تعالى : (( فإذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الإنسان يومئذٍ أين المفرّ)) نطالع فاصلة الراء وإيقاعها الذي تناغم مع دلالات النص المبارك وتنامى مع تنامي الحالة الشعورية للنفس البشرية التي تواكب هذه الأحداث المهولة وهي لاتملك الإيمان والعمل الذي ينجيها . ثم ما تلبث أن تقل حدّة ذلك الإيقاع مع استقرار ذلك الاضطراب الكوني في قوله تعالى : (( إلى ربك يومئذٍ المستقر)) الذي يُشعر بشيء من الاطمئنان النفسي في إيحاءات لفظة ( ربّك) . وإذا تأملنا مقطعاً آخر وهو قوله تعالى : (( كلا إذا بلغت التراقي وقيل من راق ، والتفت الساق بالساق ، إلى ربك يومئذٍ المساق )) نجد فاصلة (القاف) جاءت منسجمة مع الجو العام للنص ودلالاته , فتوزع الصوت بهذه الوتيرة التصاعدية انسجم مع حركية النص وتسارع أحداثه وتصاعدها ، فأسهم في تضخيم الإيحاء الدلالي لعبارات النص وأضفى عليها جوّاً من التهويل تلاءم مع طبيعة القاف العضوية من شدّة وجهر وتفخيم(31) , وخصوصاً إذا سُكّن الحرف . فاتفق الصوت والأحداث التي عرضتها الآيات المباركة من خروج الروح وفراقها الجسد وسوقها إلى المحشر مع ذلك القلق والاضطراب الذي يسود تلك المشاهد الذي خيم بدوره على دلالة المقطع العامة . وثمة مسألة أخرى نلحظها في استعمال صوت ( القاف) في هذا المقطع وهي انه يبدو – والله اعلم – أن هناك علاقة بين صوت القاف المستعمل في هذا المكان ونقطة افتراق الروح عن الجسد التي عبرت عنها الآية المباركة بقوله تعالى : (( كلا إذا بلغت التراقي)) , فعندما نقرأ الآية بتسكين القاف فإن الهواء الخارج من الرأتين يصعد الى البلعوم ، ثم يحبس في أدنى الحلق مع أقصى اللسان حبسا تاماً، ثم يطلق سراحه فيولّد صوتاً انفجارياً هو القاف الذي صار مخرجه بين ادنى الحلق وأقصى اللسان وهو اللهاة (32) .

|  |  |
| --- | --- |
|  | ***المبحث الثاني : تقنيات التلقي و عوامل الإثارة***  19 |

وكذلك هي الروح حينما تصعد فتصل الحلق في قوله تعالى: (( فلولا اذا بلغت الحلقوم)) (الواقعة/83) ، يكون هو آخر محطة لها ، ثم منه تفارق الجسد . فاتفق خروج صوت القاف و خروج الروح من مكان واحد . وكما في المقطع السابق فإن هذا النبر المقطعي في تصاقب الإيقاع ينخفض فجأة تشعر بانكساره حينما تنتقل الى قوله تعالى (( الى ربك يومئذٍ المساق)) بتأثير من لفظة (ربك) وتشكيلها مع حرف الجر ( الى) الذي خفف في امتداده من حدّة القاف وتسلّطها .

وفي المقطع الأخير من السورة المباركة نجد الإيقاع الصوتي للفاصلة يتهادى وينحدر نحو الخفة والهدوء مع تهادي المستوى الدلالي للنص فيتساوق في النزول مع التسافل البشري في درجات الانحطاط والخيبة والخسران , فنجد صوت المد ( الالف المقصورة) التي انتهت بها الفاصلة في قوله تعالى : (( فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ... )) الى آخر السورة المباركة ، قد انسجم مع هذه الأجواء من التكذيب وخيبة الأمل والانحدار نحو الهاوية ، فكان الصوت في امتداده وتكراره معبراً عن مراحل هذا السقوط ، حتى بدا لنا كأنَ شخصاً يهوي من قمّة جبل شاهق الى وادٍ سحيق والصوت يتبعه .

|  |  |
| --- | --- |
|  | 20 |

|  |  |
| --- | --- |
|  | ***نتائــــج البحــــــث*** |

تمخضت عن الدراسة نتائج عدة ، نجملها بالآتي :

ــ البناء الهندسي : ارتكز البناء الهندسي للسورة المباركة على بنية رئيسة أحكمت بدايته ونهايته , وجاءت مفاصل السورة بجميع جزئياتها متماسكة ومنسجمة مع بعضها البعض فأسهمت جميعها في خدمة الغرض الأساس أو المحور الرئيس الذي دارت حوله أحداث السورة ومشاهدها , إذ على الرغم من ورود بعض الآيات بسياق خالف الجو العام للسورة إلاّ انه وبعد التمعن والتدبّر اكتُشفت خيوط ذلك النسيج العلائقي- اذا جاز التعبير- ذلك النسيج الذي ربط كل الأحداث وسدّ كل الثغرات ليبدو البناء الدلالي لعموم النص المبارك محكماً منسجماً خالياً من أي نقص أو تناقض أو تعارض .

ــ أما البناء اللغوي فبنظرة عامة على عموم البناء اتضح ان عناصره الاسنادية لم تتشكل في تراكيب معقّدة وجمل طويلة, وانما كانت بسيطة وقصيرة مع وضوح الدلالة ودقّة التعبير . هذا الأمر أفاد عملية التواصل من جانبين , الاول: انه أضفى على النصّ مسحة جمالية بكل ماتعنيه الكلمة من معنى , والثاني : انه خلق معطيات نصية داخل البناء تحولت الى عوامل جذب لدى المتلقي فجعلته يدخل عالم النص بكل لهفة واشتياق ويتفاعل مع حيثياته أحداثه تفاعلاًإيجابياً تركزفي العقل والوجدان.

ــ وقد أسهم عدد من التقنيات إسهاما كبيرا في استعراض مشاهد السورة وأحداثها وعرض هذه الصور وإثارة المتلقي نحو الاستجابة لها من خلال التحفيز الذهني في تتابع مجريات الأحداث , فكان لـ(الاستهلال والاستباق والاسترجاع ) دور في تحريك الأحداث إما بالاستعراض المختزل , وإما بالتسريع واستباق الزمن , وإما بإستعادة الحدث وإسترجاعه , كل ذلك عبر محورين هما (القيامة وأهوالها) و(الانسان ومصيره) .

ــ أدت الثنائيات الضدية دوراً فاعلاً في خلق عناصر الجمال لعموم النص القرآني المقدس, وعلى جميع مستويات الأداء الصوتي والدلالي , وعلى السياقين الداخلي والخارجي لبنية النص , فصارت معطى نصياً أسهم في انتاج دلالات النص أولاً ، وأثمر في تحقيق غائيات النص بشكل إيجابي وفعّال في خلق الإثارة لدى المتلقي ثانياً .

- جاء البناء السردي للسورة المباركة متكوّناً من مشاهد , حمل كل مشهد صورة جزئية للحدث الأكبر– موضوع السورة – فصار بمثابة الفلم التصويري الذي تدور أحداثه حول يوم القيامة . وقد تلاحمت المشاهد مع بعضها في ترابط تزامني وتصاعدت مع تنامي ذلك الحدث الجلل لتبلغ به ذروته , ثم تنتهي به الى ذلك المصير المحتوم . وهذا كله انعكس على نفسية المتلقي فخلق عنده تداعياً شعورياً جعله ينساق وراء تلك الصور وينغمر في أحداثها بنبضات من الشعور المتدفق الذي تعلو نبضاته و تزداد دفقاته بتنامي الحدث .

ــ وأما الإيقاع فشارك هو والتكرار في رسم معالم الجمال الاسلوبي في السورة المباركة , فنشر نغماته الموسيقية ومقاطعه الصوتية على معظم آياتها , وقد تساوقت الفاصلة وتنوعت مع تنوع مقاطع السورة , فتناغمت أصواتها ونبراتها مع دلالات المقطع وأحداثه صعوداً ونزولاً , لتحاكي الحالة الشعورية للنفس البشرية في مواكبتها للأحداث وتنقلاتها بين الصور .

ــ وعموما فإن السورة المباركة جاءت لتؤكد حقيقة كبرى جسّدت خلاصة عالم الوجود وزبدة مخاضه ونهاية أمده الطويل وهي قيام الساعة والبعث ليوم الحساب , وقد مثّلت هذه الحقيقة العمود الفقري للسورة المباركة , فقامت دعائم البناء الهندسي واللغوي والدلالي وما تمخّض عنها من جماليات اسلوبية على ذلك العمود ولأجله . وجاء النظام المقطعي ليكوّن مفاصل هذا العمود , فكل مفصل مثّل حلقة من حلقات الصراع الجدلي بين عالم الوجود وعالم الفناء ، بين حب البقاء وقاهرية الفناء , بين عالم الدنيا وعالم الآخرة , صراع أختُزل فيه الزمان تارة والمكان أخرى , وظهرت فيه أنا الإنسان وإرادته حيناً , وتغيبت بل أُلغيت حيناً آخر, وفي خضمّ ذلك الصراع تنهدم أستار وتنكشف حُجُب وتسقط أقنعة وتنهدّ أركان وتتهاوى عروش فتطحن رحى الفناء كل عالم الإمكان . حينها تتجلى الحقيقة الكبرى كالشمس الساطعة وقد انجلت عنها سُحُب الغواية والرين والشكوك لتعلن حتمية المصير الأبدي . وختاما نقول إن عين البصيرة تبقى قاصرة عن الإحاطة بمكامن ذلك الإبداع القرآني المقدس وجماليات أسلوبه ودقائق بيانه , إذ هو النص الذي أبهر الجن والأنس وأعجزهم .

وختاما نقول : ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا واعف عنا انك اهل الرحمة والمغفرة ربنا وتقبل دعاء .

|  |  |
| --- | --- |
|  | 22  ***الهوامش*** |

**(1) ينظر الجامع لأحكام القرآن ،القرطبي 10/5279 ؛ تفسير الطبري 7/472-473 ،**

**تفسير الفخر الرازي 15/224.**

**(2) الكشاف 3/294،**

**(3) ينظر : التبيان 10/188 .**

**(4) روح المعاني ، الالوسي 21/478 .**

**(5) ينظر : روح المعاني 21/ 478 .**

**(6) المصدر نفسه 21/ 293 .**

**(7) الكشاف 3/293**

**(8) في ظلال القرآن 7/405 .**

**(9) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، فاضل السامرائي :156 .**

**(10) جماليات الاسلوب والتلقي ، موسى ربابعه : 89 .**

**(11) معايير تحليل الاسلوب ، ميخائيل ريفايتر /ترجمة : حميد الحمداني : 56.**

**(12) جماليات الاسلوب والتلقي : 90**

**(13) ينظر : المصدر نفسه : 91**

**(14) المصدر نفسه : 91**

**(15) ينظر : المصدر نفسه : 91 .**

**(16) ينظر : معجم النقد العربي القديم ، احمد مطلوب 1/161 .**

**(17) ينظر : جماليات التلقي في السرد القرآني ، يادكار لطيف الشهرزوري : 146 .**

|  |  |
| --- | --- |
|  | 23  ***الهوامــش*** |

**(18) ينظر : خطاب الحكاية ، جيرار جينيت ،ترجمة : محمد معتصم وآخرون :46 .**

**(19) تقنيات السرد في النظرية والتطبيق ، آمنة يوسف : 81 .**

**(20) المصدر نفسه : 71 .**

**(21) الاسلوب والاسلوبية ، بييرجيرو ، ترجمة / منذر عياشي : 85 .**

**(22) التقابل الجمالي في النص القرآني ، حسين جمعة : 153 .**

**(23) قضية البنيوية ، عبد السلام المسدّي : 23 .**

**(\*) الصواب : مهمة .**

**(24) الشعر الحر : 276 .**

**(25) جرس الالفاظ ، ماهر مهدي هلال : 284 .**

**(26) الاسس الجمالية في النقد الادبي ، عز الدين اسماعيل : 43 .**

**(27) الفاصلة في القرآن ، محمد الحسناوي : 201 – وما بعدها .**

**(28) ينظر : جماليات المفردة القرآنية ، احمد ياسوف : 204 .**

**(29) الصورة الادبية في القرآن الكريم ،صلاح الدين عبد التواب : 75-76 .**

**(30) التقابل الجمالي في النص القرآني ، حسين جمعة : 279 .**

**(31) ينظر: سر صناعة الاعراب ، ابن جني 1/ 60 ، 61 ، 62**

**(32) ينظر : الأصوات اللغوية ، ابراهيم أنيس : 84**

|  |  |
| --- | --- |
|  |  |
|  | ***فهرست المصادر والمراجع***  24 |

* الاسس الجمالية في النقد الأدبي , عز الدين اسماعيل - دار الشؤون الثقافية / بغداد – ط 3 - 1986
* الاسلوب والاسلوبية , بيير جيرو / ترجمة : منذر عياشي , مركز الانماء القومي – حلب – سورية – د . ت
* الأصوات اللغوية / إبراهيم أنيس – مكتبة الانجلو المصرية- 2007
* التبيان في تفسير القرآن ، ابو جعفر الطوسي / تحقيق وتصحيح : احمد حبيب قصير العاملي - من ضمن ( المكتبة الشاملة الرقمية )
* التفسير الكبير ، فخرالدين الرازي / تقديم : خليل محي الدين الميس دار الفكر – 1995
* التقابل الجمالي في النص القرآني ، حسين جمعة

منشورات دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع – دمشق - 2005 م .

- تقنيات السرد في النظرية والتطبيق ، آمنة يوسف

دار الحوار للنشر والتوزيع – اللاذقية – 1997م

- جامع البيان عن تأويل آي الأحكام ، ابو عبدالله الطبري/هذبه وقربه:صلاح عبدالفتاح الخالدي / خرج أحاديثه :ابراهيم محمد العلي / دار القلم – دمشق – 1997 م

- الجامع لأحكام القرآن , ابو عبدالله القرطبي /ضبط ومراجعة : صدقي جميل العطار

تخريج : الشيخ عرفات العشا - دار الفكر -1999 م

- جرس الالفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ، ماهر مهدي هلال

دار الحرية للطباعة – بغداد – 1980 م

- جماليات الأسلوب والتلقي ، موسى ربابعة

مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع – اربد – الاردن – 2000 م

ــ جماليات التلقي في السرد القرآني ، يادكار لطيف الشهرزوري

دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع – دمشق – 2010 م

- جماليات المفردة القرآنية في كتب الاعجاز والتفسير , احمد ياسوف

دار المكتبي – دمشق – 1994 م

- خطاب الحكاية ، جيرار جينيت / ترجمة : محمد معتصم وآخرون

المجلس الاعلى للثقافة /الهيأة العليا لشؤون المطابع الاميرية – ط 2 – 1997 م

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمود الآلوسي البغدادي

- سر صناعة الاعراب ، ابو الفتح عثمان بن جني /دراسة وتحقيق :حسن هنداوي – دار القلم – دمشق - 1985

- الشعر الحر ، نازك الملائكة / ط 5 – بغداد - 1962

- الصورة الأدبية في القرآن الكريم ، صلاح الدين عبد التواب

دار نوبار للطباعة – القاهرة – 1995 م

- الفاصلة في القرآن ، محمد الحسناوي / دار الاصيل - حلب – د. ت

- في ظلال القرآن ، سيد قطب / دار الشروق – بيروت – ط 7 -1978 م

- قضية البنيوية دراسة ونماذج , عبد السلام المسدي / دار امية – تونس – 1991 م

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ، ابو القاسم الزمخشري

شرحه وضبطه وراجعه : يوسف الحمادي / مكتبة مصر للطباعة

- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، فاضل السامرائي

دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد – 1999 م

- معايير تحليل الاسلوب ، ميكائيل ريفاتير / ترجمة وتقديم وتعليق : حميد الحمداني

دار النجاح الجديدة – البيضاء – 1993 م

- معجم النقد العربي القديم ، احمد مطلوب / دارالشؤون الثقافية العامة – بغداد – 1989 م